<u>الفيلوكاليا:</u> عنوانٌ عريض شكّل محور القدّيسين ودعا إليه الله منذ الصفحة الأولى للكتاب المقدّس." **على صورة الله خلق الإنسان**".

كلمة فيلوكاليا تعني محبة الجمال. وفي المفهوم اللاهوتي هي محبة جمال الله. وكون الله جميل، فهذا يعني الدخول في " الجمال" واكتشافه **والاتحاد به** بكل معنى الكلمة.

السر هنا يتخطى الحب ليصبح كلمة واحدة وهي "عشق". أي أصبح انا عاشقًا لله بكلّ قوّتي وقلبي وارادتي وكياني وحواسي وشعوري. وهذا لا يمكن أن يتم **إلا بتحويل حبي للأرضيات إلى حبي للسماويات**، حبي للأشياء الفانية إلى حبي للأشياء الأبدية، حبي للإنغلاق على ذاتي إلى حبي للإنفتاح على الأخرين، حبي للأنانية إلى حبي للعطاء، حبي للتملك إلى حبي للملكوت، حبي للكبرياء إلى حبي للإتضاع، حبي للترف إلى حبي للصلاة، حبي للخطيئة إلى حبي للفضيلة. **فهذا كله يتطلّب إستبدال عشق بعشق آخر. حب بحب**، وهو التخلّي عن العشق الفاسد والدخول في عشق الله، جمال الله اللامحدود، وعندها نلمس وندرك أن لا جمال ولا محبة إلا النازلة من فوق، **وما نراه هنا ما هو إلا إنعكاس بسيط لما هو فوق.**

طبعًا هذا يتطلّب من الإنسان جهد متواصل وارتفاع من حالة السلحفاة إلى حالة النسر. وهذا هو التفسير الحقيقي لكلمة نسكAskissy أي التمرين الدائم.

ولكن حالة الارتفاع هذه **لا تبدأ فورًا بالصعود**. بل على العكس تمامًا، هي تبدأ بالنزول والإنسحاق والرجوع إلى الذات والله، والدخول في سر الخالق الكامن في أعماق النفس. والدخول في أعماق النفس يجعلنا نكتشف ما قاله السيّد لنا: ملكوت الله داخلكم(لو17)

ويُطرح السؤال هنا: **كيف نكتشف الملكوت داخلنا ونحن مهجّرين عن ذواتنا**، غرباء في دنيا نفوسنا، جاهلين لأنفسنا، غير مدركين لحالتنا، قلبنا في مكان ورأسنا في مكان آخر. من الخارج نحن واحد ومن الداخل مجزئين. وأصعب معركة في هذه الحياة هي أن نتوّحد.

السبيل الوحيد إلى الوحدة الداخليّة هي الصلاة الداخلية التي توصلنا إلى صلاة القلب وبالتالي إلى الصلاة النقيّة. هذه الصلاة تجعلنا نكتشف صمتًا داخليًا كبيرًا ينزل فيه العقل البشري إلى مستوى القلب ويرتفع القلب إلى مستوى العقل ويتحدّان بعضهما ببعضٍ **فيستنير الذهن** أي يستنير الإنسان ونصير بالكليّة لله، فندخل بحالة السلام والتعزية والطمأنينة. **من هنا يستشف الإنسان حالة جمال يعجز الانسان عن تعبيرها فيبدأ التسبيح.** هناك سكنى الله في النفس كاليوم الأول للخلق، **حيث روح الله يرفرف فوق النفس أو بالأحرى داخل النفس.** وقد دعى القدّيسون هذه بالهدوئية كما عبّر القدّيس سلوان الاسوسي عن ذلك بقوله:" **قمّة الصلاة الصمت". وهذا ما تعلّمنا إياه العذراء مريم.** كانت صامتة وقلبها يسبّح، فإنعكس ذلك على جمال وجهها وصفائه. وهذا ما وصفه سفر الجامعة(8):" **حِكْمَةُ الإِنْسَانِ تُنِيرُ وَجْهَهُ، وَصَلاَبَةُ وَجْهِهِ تَتَغَيَّر** " أي حكمة الله . وعندما نقول كلك جميلة وليس فيك عيب، نكون نتكلّم عن جمال وصفاء روحها وقلبها الملتهب والعاشق لله. وكلّ من دخل في سر جمال الألوهة اندهش وصمت، **وغنّى تذّوقه وثابر عليه ليصبح جماله أيضًا إلهيًا.**

2- **<u>الإنسان إيقونة إلهية</u>:** من الخارج الإنسان لحم ودم ومصنوع من تراب إلاّ أن الله نفخ فيه من روحه **وهذا يجعله موطنًا سماويًا، جذوره سماوية ووطنه الأول هو السماء.** وإذا قلنا أنّك يا إنسان من التراب وإلى التراب تعود يجب أن نقول أيضًا **أنّك يا إنسان من الله وإلى تعود.** **ومن بحث في أعماق ذاته، وجد نفسه لا يمكنه أن يستريح إلا في حضن الله.** من هنا نقول الله يستريح في قدّيسيه والقّديسون يستريحون في الله. طبعًا خلق الله الإنسان على صورته ودعاه بملىء حريّته أن يكون على مثاله، لكن سوء استعمال الإنسان لحريته أخرجه وأسقطه من حضن الله، وبالمقابل حسن استعماله للحرية يرّده إلى السماوات. وهنا يكمن معنى الحريّة

الحقيقية أي التحرر من **الاهواء للإلتقاء بالسيّدLa rencontre** هاربين من الفساد الذي في العالم بالتحرر من الأهواء لنكون شركاء الطبيعة الإلهية (**ابط4:2**).

3- **<u>الله إيقونة إنسانية</u>:** في كل المعتقدات الله موجود ولكن في المسيحية الله تأنس أي تجسّد. وهنا نبدأ بعنوان جديد إسمه "**التأنّس**" **أي** "**التشخصّن**". أي ان الله هو إله شخصي. ويجب أن أجسّده في حياتي بملىء حرّيتي. ولكن كيف؟ بالوصايا، بالتعليم أو بماذا؟

في الحقيقة، **بعيش هذه الحقيقة.** وهنا لا نتكلّم عن تجسّده ومعجزاته وتبشيره فقط بل عن **صليبه وقيامته.** وهذا يعني الدخول **في سر الصليب.** هذا السر العظيم، هذا العبور، الإنتقال من الموت إلى الحياة. لنسمع ما قاله القدّيس مكسيموس المعترف: **إن الدخول في سر الصليب يجعل القلب المتحجر يتفتت ليهب فيه الروح القدس.** وهذا الدخول يجعل من كلّ واحدٍ منّا تقدمة وذبيحة حيّة مثل **دخول السيّد إلى الهيكل.**

من هنا الإنسان مدعو أن يوّحد طاقاته بنعمة الروح القدس ليعاين جمال الله. إنطلاقًا، ورويدًا رويدًا نصبح **نحن كائنات جميلة** بالمعنى الإلهي والروحي للكلمة.

اسمعوا جيّدًا، **القلب ينكسر، يهتز، ومن ثم يتجدد.** وهذه العملية المتواصلة ترفع الإنسان ليرتقي إلى أعلى درجات الحب والجمال وعندها وحدها تسكن **الغبطة في قلب** الإنسان. ولكن هذا تحّد كبير وسؤال يطرح: هل نحن مستعدون للدخول في سر هذا الحب الكبير؟ هل نحن مستعدون لنقول: **عشقي مصلوب لنقول بعدها عشقي قائم.**

4- **<u>نعمة المعمودية والمعمودية الجديدة</u>:** كثيرًا ما نتوقف عند الوصايا ولكن قليلاً ما نتوقف عند **التطويبات.** هذه التطويبات التي إذا عاشها المؤمن **يصبح على الأرض ملاكًا.** وكلمة طوبى تعني مغبوط **وهنا يقصد الرّبّ الغبطة الإلهية الآتية من الجمال الإلهي.**

ولكن كيف نجسّد هذه التطويبات في حياتنا؟

الجواب وبحسب خبرة الكنيسة وأبائها هو تفعيل للنعمة الإلهية التي أخذناها في سر المعمودية **للإنتقال إلى المعمودية الجديدة**، ويتلّخص ذلك بالتوبة والغفران. التوبة ببكاء والغفران دون الرجوع إلى الوراء." **إن الذي يعترف بخطاياه أعظم من الذي يقيم الموتى**". وسر يسوع أنه جمع في شخصه كلّ هذه التطويبات. فلم يكن عنده **فرق بين ما كان يتلّفظ به ويعمله ويعيشه**. من هنا يدعو السيّد كلّ فرد منّا ليقيم علاقة شخصية معه ، علاقة شخص لشخص **بشكل أن قيامته تصبح فينا متجليّة.**

ورجوعًا إلى الفيلوكاليا فهدفها يتحقق عندما **يتم هذا الإلتقاء المتجدد بدموع التوبة**. "لا تقسّوا قلوبكم" **إجعلوا من ذواتكم مملكة يسوع على الأرض**. من هنا قال القدّيس يوحنا الذهبي الفم": القلب يدعو الله والله يسكن في القلب". وإذا لاحظنا جيّدًا هذا عملٌ لا ينتهي. هو عملٌ متواصل، به نبدأ بتطبيق الآية التاليّة:" ننتقل من مجدٍ إلى مجد. **فمعاينة الملكوت تبدأ من هنا**، من هذه اللحظة بالتحديد فمع بولس الرسول نقول لأنفسنا:" **استيقظ أيها النائم وقم من بين الأموات فيضىء لك المسيح**".

5- **<u>الأهواء</u>**: ما سبق وسمعناه كلامٌ جميل، ولكن كيف يستيقظ الإنسان؟ وما هو العائق؟ العائق **الأساسي هو الشرير** الذي يستغل فينا هذه الأهواء ويحرّكها. فهذه الأهواء باللغة الروحية تدعى أمراض. ففي كلّ نفس منّا عدد لا يستهان به من الأهواء. لننتبه جيّدًا: **عكس جميل قبيح**. فإن كانت الفضائل تُعطي الجمال، الأهواء توّلد القباحة. ومن يطلق العنان لأهوائه يتخطى أشد الحيونات شراسةً ووحشية.

وأول الأهواء هو البحث عن الخلود خارج إطار الله. وهذا موجود عند كلّ فرد منّا دون أن ندري وهذا كان خطيئة الجدّين الأولين فأولد أم الأهواء الا وهي الكبرياء." الأنا" " أنا أريد أن أكون، أنا أريد أن أسيطر،...أتملّك..." هذا الهوى القاطن في كلّ واحد منّا، الهروب من الموت

يجعلنا نميت أنفسنا ونقتلها. والإنتصار الحقيقي على الموت هو الإلتصاق بسيّد الحياة.

فالنخاطب أنفسنا قائلين: **أيها الغبي الله يعطيك الحياة الأبديّة أمّا هذه الأرض تعطينا الدود والتراب**". فالقدّيس جميل لأنه إلتصق بالله وبات كالقمر الذي يعكس نور الشمس.

6- **<u>الحزن الأرضي المميت والحزن السماوي البهي</u>**: الحزن الأرضي يجلب على القلب اليأس وعدم الرجاء حتى يصل الإنسان أحيانًا يكره ذاته. ولاحظوا حتى لو وصل الإنسان إلى أقصى ما يريد أرضيًا يبقى في قلبه حزن.

أما الحزن السماوي هو الحزن على ضعفاتنا وأهوائنا وسقطاتنا وهذا الحزن يؤول إلى فرح، إنه حزنٌ بهي. كحزن يسوع على رجل المقابر. **كذلك دموع الخاطئة أصبحت دموع الإلتقاء بالرّبّ.** وبهذا الإلتقاء نكتشف أن الملاهي التي تبعدنا عن الفرح الحقيقي كثيرة ومتعددة وتحيط بنا من كلّ الإتجاهات. من هنا قال لنا يسوع: **أنتم عطشى اشربوا من الماء الحي. أنتم طموحون حققوا ملكوت السموات. أنتم مرضى أطلبوا شفاء الروح.**

وأكمل، لن يُرضيكم شيئًا دون الله في هذه الحياة، لا الألقاب، ولا المقاعد، ولا الغنى المادي، ولا المراكز. ولكن قد تصبح كلها حسنة إن كانت في خدمة الله وكلها سيئة إن كانت خدمةً لأنفسنا وللمجد الباطل. **من ذاق طعم الرّبّ يعرف الطعم الحقيقي الأبدي من الزائل. وكل غبي يستبدل الجواهر بالقش.**

لن تتوقف الأهواء في طلب المزيد، من يحب المال سيطلب المزيد وإن في آخر رمق من حياته، ومن يحب المآكل سيطلب الأطباق الشهية حتى لو مرض، ومن يحب الظهور سيطلب من بعد موته التكريم والشهرة. أما من يحب الله سيلتصق به. لذا لنحوّل أهوائنا إلى فضائل.

فالله لم يطلق لقب غبي وجاهل إلا على الذي أضاع العريس. فمن يسعى إلى تفعيل النعمة يشاهد نور جبل ثابور.

6- **<u>حفظ القلب والسهر الروحي</u>:** هناك سهر وسهر. سهر مع الله وسهر الدنيا. فالإنسان مدعو أن يسير إلى القداسة، وهذا يتطلب سهرًا من نوع آخر. والسهر مع الله يجعل الظلمة نورًا. أنظروا وجه القدّيس في الأيقونة: سلام ونور. أجمل حالة يصل إليها الإنسان عندما يصل:" **أنا نائم أمّا قلبي فمستيقظ**".

7- **<u>السير إلى القداسة</u>:** خلاصة الإنسان مدعو أن يعكس جمال الله في حياته، وعيش هذا الجمال يؤول به إلى التأله. الوجه هو وجه الله، وهو وجه يتم "ترميمه" أي تنقيته ليستعيد وجه الله. والإنسان مدعو أيضًا أن يكتشف مكانته الأولى، والأصح القول حالته الأولى. ملك الجنة هو، لذا هو مدعو لتحقيق الحالة الفردوسية في كلّ تفاصيل حياته. يقول القدّيس غريغوريوس النيصصي: " **المسيحية هي الحياة الإلهية**" فالبعد عن الله هو ظلام وقتام. من هنا نجد الأيقونة دائمًا مذّهبة رمزًا للملكوت. صحيح أن الإنسان الترابي يحمل علامات السقوط، ولكن هو على صورة المجد الذي لا يفنى. وإن تجرّد الإنسان من الإنحراف يصبح ظهورًا الهيًا." Depouille de ses iniquites l’homme est une theophanie de Dieu " .

اذًا الجمال الإلهي هو عودة و مسار وصعود وإرتقاء. ويشرح القدّيس غريغوريوس النيصصي ذلك بكلمات من ذهب فيقول: في البدء أزهرت الطبيعة الإلهية، فطالما كانت تسكن في الفردوس كانت ترتوي من مياه الينابيع الإلهية. ورقها كانت فضيلة عدم الموت، لكنّ شتاء التمرّد وعدم الطاعة جفّف أغصانها وسقطت الزهرة وإندثرت في الأرض. وعرّي الإنسان من الجمال الذي لا يموت وعشب الفضائل السماويّة جفّ، وهبّ صقيع الإبتعاد عن الله بمقدار ما كبر الإنحراف والخطيئة. أهواء نمت كالطفيليات من جراء النفحات العدائية وغرقت النفوس. وفجأة لاح الربيع بقدوم ربيع نفوسنا، وظهر في وسطنا من زجر أمواج البحر المرتفعة لتعود طبيعتنا تزهو وتزهّر من جديد.

8- **<u>إرتقاء الجمال</u>**: خلاصةً، بالمسيح يسوع دخل الإنسان إلى بهاء الثالوث. صحيح أن تجسّد المسيح هو لاحق لخلق الإنسان إلاّ أن آدم الكامل سابق لآدم الأول. ويشرح القدّيس نيقولاوس كاباسيلاس ذلك فيقول:" آدم الأول هو مثال آدم القديم أي يسوع المسيح"، **من هنا تُظهر أيقونة الخلق وجه آدم مطابق لوجه المسيح الخالق.**

فوجه المسيح هو وجه الوجوه، هو " الوجه". ففي عيون كلّ قدّيس يطل علينا وجه المسيح. " **نور المسيح يضيء للجميع**". ومن خلال هذا النور تعلو الترانيم وتبتهج التسابيح ويشّع الجمال، جمال الخالق على بني البشر ليعلن عاليّا: ليس أجمل من هذا الجمال، جمال وجه يسوع المسيح. آمين.

الأب أثناسيوس شهوان